

الحلقة (٢٥)

وحديثنا في هذا اللقاء هو: عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة بالتكبير، والقراءة بالحمد لله رب العالمين، وكان إذا ركع لم يُشخص رأسه ولم يُصوبه، ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع من الركوع لم يسجد حتى يستوي قائماً، وإذا رفع رأسه من السجود لم يسجد حتى يستوي جالساً، وكان يقول في كل ركعتين التحية، وكان يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى، وكان ينهى عن عُقبة الشيطان وينهى أن يفرش الرجل ذراعيه افتراش السُّبُع وكان يختم الصلاة بالتسليم" أخرجه مُسلم وله عِلَّة.

الحديث كما سمعتم وقرأنا فيما ذكره الحافظ ابن حجر أنه أخرجه مُسلم، قال وله عِلَّة.

ذكر العلماء الشوكاني وغيره أن التعليل هنا أن الحديث

١- أخرجه مُسلم من رواية أبي الجوزاء عن عائشة رضي الله عنها، قال ابن عبد البر "هو مُرسل، فأبو الجوزاء لم يسمع من عائشة رضي الله عنها".

٢- وأعلَّ أيضاً أنه أخرجه مسلم من طريق الأوزاعي مكاتبةً، ولعل ما جاء في الصحيحين من مثل هذا محمول على الاتصال باعتبار أن ما جاء على هذا كان موصولاً في مكان آخر، هذا ما يُقال فيما جاء على هذه الصفة مما ورد في الصحيحين، والصحيحان صحيح البخاري وصحيح مسلم لهما مكانه عند الأئمة، فهما أصح كتب السنة، والسنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، فلا ينبغي أن يُشكك فيما أخرجاه في هذا، والأئمة قد تلقت ما أخرجه الشيخان بالقبول، فكما ذكر الحافظ ابن حجر وغيره من العلماء ومن الحفاظ ومن الأئمة بأن ما جاء في الصحيحين أو في أحدهما مما انتقده البعض فهو فيه معارضة بين قول الناقل وقول البخاري ومسلم، والبخاري أو مسلم أقوى وأقرب وأعلم فيقدم قولهما على قول غيرهما، هذا اختصار في هذه المسألة لأن هذه المسألة يطول الحديث عنها، والتفصيل فيها، لكن لما ذكر الحافظ ابن حجر أن له علة، ذكرنا هذا الكلام الذي ذكره العلماء.

أما الألفاظ الواردة في النص:

تقول عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين" فالقراءة هنا معطوفة على الصلاة، فلذلك تنصب، كان يستفتح الصلاة بالتكبير، وكأنها هنا تقول ويستفتح القراءة فهو معطوف على منصوب فهو كذلك منصوب.

من الألفاظ الواردة: قولها رضي الله عنها في الحديث "وكان إذا ركع لم يُشخص رأسه" والمراد بقولها هنا لم يُشخص رأسه أي لم يرفعه، من الشيء الشاخص الذي له ظهور وبروز، فهو لم يرفع رأسه إذا كان

راكعاً، بل كان على مستوى ظهره صلى الله عليه وسلم، ثم جاءت بعد ذلك بما يقابل هذا، ثم تقول رضي الله عنها "لم يُصوبه" أصل التصويب الخفض، فمعنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يخفضه خفضاً أنزل من مستوى ظهره، فإذا لا يرفعه أعلى من ظهره ولا يخفضه أنزل من ظهره، فكان الرأس على مستوى الظهر، وتقدم معنا في لقاء سابق أن تمام الركوع أن يكون الرأس مساوياً للظهر، هذا تمام الركوع.

ثم قالت رضي الله عنها: "ولكن كان بين ذلك" أي كان بين الرفع وبين الخفض في ذلك صلى الله عليه وسلم.

من الألفاظ الواردة: قولها رضي الله عنها: "وكان ينهى عن عقبة الشيطان" **ما هي عقبة الشيطان؟** العقبة المنهي عنها المراد بها أن يلصق إلتيه بالأرض أي مقعدته يلصقها بالأرض، وينصب ساقيه وفخذه، هذه الجلسة المنهي عنها في الصلاة، وهي أيضاً ما عُبِّرَ عنها بإقعاء الكلب، **إقعاء الكلب** هو على هذا، إذا ألقى الكلب ألصق إلتيه بالأرض مقعدته ألصقها بالأرض ثم نصب ساقيه وفخذه، هذه تسمى عقبة الشيطان وتسمى إقعاء الكلب، فكل ذلك جاء منهي عنه.

تقول رضي الله عنها: "وكان يفرش رجله اليسرى" وهي بضم الراء ويصح أيضاً بكسرها ولعل الضم أشهر، فنقول يفرش ونقول يفرش، كل ذلك صحيح وإن كانت الأولى أظهر وأوضح والله أعلم. ثم قالت رضي الله عنها: "افتراش السبع" وهذه الصيغة فهي عنها، منهي عن مشابهة السبع في هيئة إقعائه وافتراشه ذراعيه، فسواء كان إقعاء الكلب على الصورة التي تقدم أو كان مثل السبع، السبع يكون رابضاً على الأرض وماداً يديه بأسطها على الأرض كذلك، فكل ذلك منهي عنه في الجلوس وفي السجود، السجود أن يمد يديه ويلصقهما بالأرض كاملتين يعني الذراع مع الكف هذا منهي عنه في هذا الحديث وفي غيره من الأحاديث، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الإقعاء إقعاء الكلب وافتراش السبع.

أما الأحكام المستنبطة من هذا:

الحكم الأول: فيه بيان صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، فعائشة رضي الله عنها تحكي صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وكيف كان يصلي صلى الله عليه وسلم، فهي تحكي تلك الصفة فبينت ذلك للأمة، وهذا هو صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، وواجب أن نفعل أيضاً في الصلاة كفعله صلى الله عليه وسلم، لماذا؟ لأنه صلى هكذا وقال: **"صلوا كما رأيتموني أصلي"** فإذا حكى لنا عائشة رضي الله عنها صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم نأخذ الحديث الآخر من النبي صلى الله عليه وسلم: **"صلوا كما رأيتموني أصلي"** فإذا وجوب الصلاة كصلاة النبي صلى الله عليه وسلم، الإتيان بأركانها وواجباتها بعد الإتيان بشروطها، الشروط متقدمة فيأتي بالشروط أولاً، ثم يأتي بالأركان والواجبات.

الحكم الثاني: فيما قالت عائشة رضي الله عنها: "يستفتح الصلاة بالتكبير" فقلنا هي تكبيرة الإحرام، تكبيرة الاستفتاح هي تكبيرة الإحرام، فالمصلي يدخل بها في صلاته، وهي ما تسمى بالتحريمة، ولا يمكن أن يكون داخل في الصلاة بغيرها أبداً.

فدل ذلك على أن تكبيرة الإحرام ركن من أركان الصلاة، بخلاف التكبيرات الأخرى فهي واجبة، أما تكبيرة الإحرام فهي ركن من أركان الصلاة، تجب على الإمام والمأموم والمنفرد. فلا تصح الصلاة ولا يُعتبر داخلاً في الصلاة بغيرها، حتى لو كان فيها في الألفاظ الأخرى ثناءً على الله سبحانه وتعالى، أو تعظيماً لله سبحانه وتعالى، أو ما إلى ذلك، لا تجزئ عن هذه التكبيرة، لا بُد من تكبيرة الإحرام، ومع هذا تصحبها النية، وقد تقدم معنا ذكر النية من قبل. ولذلك جاء في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(تحریمها التكبير)**، لذلك لا يُجزئه غير هذه التكبيرة فلا تنعقد الصلاة بدونها.

الحكم الثالث: من الأحكام المستنبطة من الحديث قولها رضي الله عنها: "والقراءة" أي كان يستفتح القراءة بالحمد لله رب العالمين.

هنا اللفظ ظاهره أن البسملة ليست من الفاتحة، وهذا ما يدل له قولها صلى الله عليه وسلم "كان يستفتح القراءة" بالحمد لله رب العالمين، فكان يستفتح بالحمد لله رب العالمين. وهذا قول عدد من الأئمة أن البسملة ليست من الفاتحة، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرع في صلاته بالحمد لله رب العالمين، والبعض يقول إنما أرادت عائشة رضي الله عنها بهذا أن النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة بسورة الحمد، فعلى هذا القول تدخل فيها البسملة. والذي يظهر والله أعلم أن البسملة ليست من الفاتحة، وسيأتي إن شاء الله تعالى في حديث آخر ما يُبين هذا، فنؤجل الحديث عن البسملة إلى ذلك الحديث، ليكون الكلام عنها في مكان واحد.

الحكم الرابع: من الأحكام المستنبطة في هذا الحديث: وصف عائشة رضي الله عنها لوضع رأس النبي صلى الله عليه وسلم حال ركوعه، فذكرت أنه لم يخفض ولم يرفع، فكان بين ذلك في ركوعه، وقُلنا أن أتم الركوع هو أن يكون الرأس مساوياً للظهر، لا شاخصاً عنه إلى الأعلى ولا منخفضاً عنه إلى الأسفل، وجاء هذا في حديث وابصة فيما أخرجه ابن ماجة من حديث وابصة بن مبعد رضي الله عنه أنه قال (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يُصلي وكان إذا ركع سوى ظهره حتى لو صُبَّ عليه الماء لاستقر) إذاً هذا هو تمام الركوع الذي كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم.

الحكم الخامس: وجوب الاعتدال قائماً بعد الركوع وهذا ما يدل له قولها رضي الله عنها "كان إذا رفع من الركوع لم يسجد حتى يستوي قائماً".

أيضاً من أدلة هذا ما رواه الخمسة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تُجزئ صلاة لا يُقيم فيها الرجل صُلبه في الركوع والسجود"** وحسن الترمذي هذا الحديث.

والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من بعده، فإذا لا تجزئ الصلاة بغير الاعتدال بعد الركوع وكذلك بعد السجود، فإذا رفع من ركوعه لا يسجد حتى يعتدل، وهذا ما جاء في الألفاظ التي تقدم "وكان إذا رفع من الركوع لم يسجد حتى يستوي قائماً" وجاء هناك في حديث المسيء صلاته: "حتى تطمئن" في بعض ألفاظه "حتى تطمئن قائماً" فإذا تبين من هذا أن الصلاة لا تجزئ بدون هذا الاعتدال.

وهذا خلاف ما نلاحظ عليه بعض المصلين من أنه يسجد قبل أن يعتدل من ركوعه، ربما يهمل بالرفع من غير رفع - فيما يظهر من البعض - ثم يسجد، يعني نقول كأنه هم بالرفع وهذا ما نلاحظه وهذه من الأخطاء الشائعة عند كثير، ينبغي أن يُنبهوا إلى مثل هذا، لأن هذا مما يخل بالصلاة، وواجب من يرى ذلك أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الحكم السادس: وجوب الاستواء جالساً بين السجدين، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بهذا، فهنا نقلت عائشة رضي الله عنها صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضاً ما رواه الخمسة في الحديث المتقدم وحسنه الترمذي "لا تجزئ صلاة لا يقيم فيها الرجل صلبه في الركوع والسجود" فدل ذلك على أن الصلاة لا تجزئ بغير هذا.

إذا انعدم الإجزاء معنى ذلك أن الصلاة فاسدة، فيكون هذا ركن من أركان الصلاة، الاعتدال قائماً بعد الركوع الاطمئنان جالساً بين السجدين، فنقول ذلك من أركان الصلاة.

الحكم السابع: قراءة التحيات بعد كل ركعتين، وعندنا في الصلاة؛ الصلاة قد تكون رباعية أو ثلاثية، رباعية كما في الظهر والعصر والعشاء وثلاثية كما في المغرب، وقد تكون ركعتين كما في الفجر وفي النوافل، فبعد كل ركعتين تحية، كما ذكرت عائشة رضي الله عنها "وكان يقول في كل ركعتين تحية" المراد بها: التشهد، فإن كانت الصلاة غير الفجر أو غير الثنائية عموماً، فنقول أنه بعد الركعتين الأوليين يتشهد وهذا ما يسمى بالتشهد الأول، وهذا يكون في الجلوس بعد الركعة الثانية، بعد الفراغ من سجدة الركعة الثانية، فيجلس المصلي ويتشهد، وأحسن ما ورد في هذا المعنى ما جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: التفت إلينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله".

فإذا هذا يقوله بعد كل ركعتين، فإن كان بعد الركعتين الأوليين من الرباعية أو الثلاثية فيقول هذا، فإذا وصل إلى هذا قام للثالثة، فإن كان في التشهد الأخير زاد عليه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما يعرفه البعض بالصلاة الإبراهيمية.

فإذا يُقال فيه التحيات كونه فيه "التحيات" اللفظة، ويقال فيه أيضاً التشهد لورود لفظة التشهد "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله".

فإذا هذا سبب التسمية بالتشهد أو التحيات لورود اللفظتين في هذا الذكر وفي هذا المكان من الصلاة.

الحكم الثامن: أن المصلي منهي عن الإقعاء في صلاته التي تُسمى بعقبة الشيطان أو إقعاء الكلب، فهو منهي عن ذلك والنهي في الأصل يقتضي التحريم، وكذلك منهي عن وضع اليدين كاملة -الكفين بالذراعين- على الأرض، وهذا ما يُسمى بافتراش السُبع، فالمصلي منهي عن ذلك، وكما قلنا في النهي عن الإقعاء يكون كذلك النهي هنا الأصل فيه التحريم.

هذه لعلها أشهر الأحكام التي تستنبط من هذا الحديث الذي هو صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، وواجب على المسلم أن يتعلم كيف كان يصلي النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يصلي كصلاته عليه الصلاة والسلام، وهذا أمر واجب ليس لنا الخيار فيه.

فالنبي صلى الله عليه وسلم علّمنا الصلاة في أقوالها وأفعالها واعتدالها واطمئنانها وما يُقرأ فيها، وما يذكر فيها أو ما يقال فيها من الأذكار، من تسبيح وحمد وتشهد وغير ذلك، كل ذلك علّمنا إياه النبي صلى الله عليه وسلم وطبق ذلك بفعله، كان يراه الصحابة رضوان الله عليه وهو يصلي صلى الله عليه وسلم ثم يقول: "صلّوا كما رأيتموني أصلي" وهذا تشريع منه صلى الله عليه وسلم.

فينبغي أن نتعلم كيف كان يصلي صلى الله عليه وسلم، وكيف كان يعبد الله سبحانه وتعالى، ونقتفي أثره صلى الله عليه وسلم فنفعل كفعله، ونقول كقوله، ونذكر الله سبحانه وتعالى كما كان يذكر، وخصوصاً في الصلاة فقد جاء النص عليها في هذه الأحاديث بأن نكون في تكبيرنا، سواء كان الإحرام أو غيره، وفي قراءتنا، وفي ركوعنا وسجودنا واعتدالنا من الركوع واطمئناننا من السجود، والتشهد وهو التحية كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها، أن نكون على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه قال: "صلّوا كما رأيتموني أصلي".

فلا نخالف عما بينه النبي صلى الله عليه وسلم، وما نهى عنه يجب أن ننتهي عنه، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه النصوص التي تقدم ذكرها معنا، جاء هنا (كان ينهى عن عقبة الشيطان) وتبين لنا بأن عقبة الشيطان هو إلصاق الإليتين بالأرض مع نصب الفخذين والساقين، وهي الإقعاء الذي جاء كذلك النهي عنه، فهنا تضافر النهي عن هذه الجلسة، فهذا يدل على تحريمها، وأنه لا يجوز للمصلي أن يفعل ذلك.

ونهى صلى الله عليه وسلم عن افتراش السُبع، فكذلك لا يفتersh ذراعيه كما يفتershهما السُبع، وهذا منهي عنه، كما تبين لنا من النصوص المتقدمة في هذا الحديث وفي غيره من الأحاديث.

الحكم التاسع: حكم مستنبط وهو ما يخرج به المصلي من صلاته، فرغ من صلاته **ماذا يقول إذا أراد أن ينصرف من صلاته؟**

بينت ذلك عائشة رضي الله عنها، وبينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وهو التسليم، فيسلم عن يمينه ويسلم عن يساره، وهذا ما جاء في قول عائشة رضي الله عنها: (وكان يختم الصلاة بالتسليم).

فإذا المصلي يختم صلاته بالتسليم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يصح بغير ذلك، فيقول: السلام عليكم ورحمة الله مرة عن يمينه، ويقول أخرى السلام عليكم ورحمة الله عن يساره، يلتفت مرة عن يمينه ويقول السلام عليكم ورحمة الله، ويلتفت مرة عن يساره ويقول السلام عليكم ورحمة الله.

من يسلم عليه في مثل هذا الحال؟

قد يكون للحاضرين، وقد يكون للملائكة المقربين، ولا مانع أن يكون الأمر يشمل الاثنين، يشمل المصلين ويشمل الملائكة المقربين.

فالمصلون عن يمين الإمام ويساره من خلفه، وكذلك الملائكة هم مع المصلي عن يمينه وعن يساره، فهناك ملك مكلف بكتابة الحسنات، وملك بكتابة السيئات، فإذا هناك ملائكة مقربون فيسلم عليهم المصلي عند فراغه من الصلاة.

يكون بهذا صلى كصلاة النبي صلى الله عليه وسلم، كما وصفتها عائشة رضي الله عنها، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (صلّوا كما رأيتموني أصلي).

فلا يُجزئ غير هذه العبارة أيضاً في الخروج من الصلاة، لا يُجزئ غير هذا اللفظ في الخروج من الصلاة، فلا يُجزئ غيرها من الألفاظ، فلا بد أن يأتي بهذا اللفظ كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: السلام عليكم ورحمة الله، فيكون مرة عن يمينه ملتفتاً معها، ومرة كذلك عن يساره ملتفتاً معها.

والتحركات والتنقلات من ركوع وسجود وسلام إنما تكون الحركة والقول متساويان، فكل حركة لها ذكر مناسب، والاعتدال له ذكر مناسب، فكل قول مع حركته أو مع حاله أو وضعه في الصلاة فلا يجعل بعض الألفاظ في غير مكانها، ويكون بذلك قد خالف فعل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتقيد في صلاته بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (صلوا كما رأيتموني أصلي).